إنجيل يوحنا: رحلة الإيمان

«الكلمة صار جسداً»

(١: ١٤–١٨)

تأليف: بروس مكلارتي

الرديف العكسي هو اجتماع للفظين متناقضين. مثال على ذلك الكلمات التالية: كلمة «حلومر»، و«ضخمصغير»، ولطيفقاسي».

هذا التركيب اللفظي الخاص هو المبدأ الذي سار عليه إنجيل يوحنا ١: ١٤–١٨. تقدم الآيات الثلاث عشرة الأولى من إنجيل يوحنا «الكلمة»، الذي «كان في البدء»، «كان عند الله»، و«كان الكلمة الله». بما ان هذه الادعاءات جريئة كما هي، لا نجد صعوبة في قبولها لأننا قد اعتدنا سماع ادعاءات عظيمة عن الله. «المشكلة» التي ظهرت في يوحنا ١: ١٤ هي ان الإله صار جسداً. انه ليس تماديا ان نقول ان الرديف العكسي الله/ جسد هو بداية فهم حقيقة يسوع.

صار جسداً

«والكلمة صار جسداً ...» (١: ١٤). بعد تقديم يسوع ككلمة الله القدوس الذي كان في البدء والذي به تم خلق كل شيء، الآن يقدم يوحنا ١: ١٤ تصريح مذهل بان الكلمة صار جسداً. كان الـ«جسد» كلمة فظة، دنيوية، رديئة، ويكاد ان تكون لهجة خبيثة لوصف يسوع. كانت هذه طريقة يوحنا للقول بان يسوع صار ١٠٠٪ بشراً. وليس ٥٠٪ بشراً بينما ٥٠٪ الباقي إلهاً. اختبر يسوع الإنسانية بكاملها. ولد طفلاً، وكبر ليصير رجلاً، واختبر الشعور بالجوع، والعطش، والألم، ورغبات الجسد، والغضب، والحزن. القول بان يسوع كان بشراً كاملاً قد يبدو بانه شيء من عدم الاحترام. على سبيل المثال، عندما ترى صورة مشهد المذود لمريم ويوسف والطفل يسوع، هل خطر ببالك بأن ملابس الطفل قد تحتاج إلى تغيير؟ مع ان الفكرة قد تكون غير مقبولة إليك، إلا ان كلمة «جسد» تتضمن على كل ذلك، بل وأكثر بكثير من ذلك.

على سبيل المثال هل تؤمن بان يسوع كان قد جُرِبَ فعلا؟ هل أراد يسوع قط أن يفعل شيء غير صحيح؟ تأمل في هذا لحظة. كتب يعقوب بان «كل واحد يُجَرَّب إذا انجذب وانخدع من شهوته. ثم الشهوة إذا حبلت تلد خطية والخطية إذا كملت تنتج موتاً» (يعقوب ١: ١٤ و١٥). هل «انجذب» يسوع «وانخدع من شهوته» قط؟ قال كاتب الرسالة إلى العبرانيين بان يسوع رئيس كهنتنا العظيم «مُجَرَّب في كل شيء مثلنا بلا خطية» (عبرانيين ٤: ١٥). يبقى سؤلنا هو: «هل المسيح الذي هو بلا خطية أراد قط أن يفعل شيء غير صحيح؟» أني أومن بان إجابة الأسفار المقدسة هي «نعم!» على سبيل المثال ما الذي أراد أن يفعله يسوع في بستان جثسماني عند جبل الزيتون في الليلة التي أُسْلِمَ فيها؟ لقد صلى قائلاً: «يا أبتاه إن شئت أن تجيز عني هذه الكأس. ولكن لتكن لا إرادتي بل إرادتك» (لوقا ٢٢: ٤٢)، ألا يعبر هذا بان يسوع كان يريد أن يفعل شيء غير إرادة الآب؟ يجب علينا جميعنا أن نكون شاكرين بان يسوع شاء أن يعمل إرادة الآب دائماً، ولكن لا يجب ان نتجاهل تلك الحقيقة بان يسوع صار «جسداً» وواجه كل تجارب الجسد.

قد نجد بانه من الصعب تصديق هذا لأننا نسمع الكثير عن يسوع بانه «السيد والرب» واعتباره الآن إنساناً قد يبدو غريباً أو حتى تجديفا! يصعب للمسيحيين أن يقبلوا إنسانية يسوع ويقدرون حقيقة انه «جسد»!

نصَبَ خيمته

أصبحت لغة يوحنا أكثر جرأة عندما قال ان الكلمة الذي صار جسداً «حل بيننا» (١: ١٤). الكلمة اليونانية التي ترجمت إلى «حل» تعني حرفياً «نصب خيمته» أو «خَيّم»: «والكلمة صار بشراً، وخَيّم بيننا». يعبر هذا عن الفكرة بان شخصاً ما قد ارتحل إلى منطقتنا وسكن بيننا. هذا ما فعله يسوع! لم يأتي لزيارة قصيرة فحسب، بل رحل وغيَّر عنوانه إلى «الأرض»، وتوسخت يداه بسبب العمل اليومي لكسب المعيشة. وجوده بيننا هو واحدة من أعظم العطايا التي يمكن أن يعطيها للجنس البشري.

تظهر اهمية مجيء يسوع و«تخييمه» بيننا في قصة قديمة عن ملك فارسي. كان الشاه أبيس ملكاً صالحاً يحب شعبه. ولكي يفهمهم بطريقة أفضل، كان يتنكر في زي مواطن عادي ويذهب إلى الأماكن العامة. وحدث انه كان يزور حمام شعبي ذات مرة، ودخل من باب يقود إلى درج سفلي وجلس بجانب رجل فقير كان عمله المحافظة على نار الحمام مشتعلة. وسرعان ما جعل الملك من هذا العامل صديقاً له. بقيت شخصيته مخفية عن هذا الصديق الجديد، فعاد الملك إلى الرجل الذي كان يعمل في الحمام الشعبي عدة مرات. وعندما كان يأتي وقت الطعام، كان القروي يصر ان يتناول معه الطعام. وأخيراً كشف الملك عن هويته لهذا الرجل. توقع الشاه أبيس بناءاً على خبرته السابقة أن يطلب الرجل منه طلبا أو معروفا خاصا. ولكن بدلاً من ذلك، عندما رجع الرجل إلى نفسه من الصدمة، لم يطلب من الملك ثروة ولا معروفاً، بل قال له:

> لقد تركت مكانك ومجدك لتكون معي في هذا المكان المعتم، لتأكل طعامي المتواضع وتهتم بي سواء كنتُ منبسط القلب أم حزين. قد تنعم على الآخرين بعطايا ثمينة، ولكن بالنسبة لي قد أعطيتني نفسك، وما بقى لي إلا ان اصلي بان لا تأخذ عطيتك (صداقتك) مني.

رأينا مجده

لم يأتي يسوع في الجسد وعاش بيننا فحسب، بل سمح لنا أيضاً برؤيته ومشاهدة حياته! عبر يوحنا عن هذا في ١: ١٤ قائلاً: «... ورأينا مجده مجداً كما لوحيد من الآب مملؤا نعمة وحقاً». «مجد» هي كلمة ذات معاني غنية في الأسفار المقدسة. النصين التالين هما مثالين للكيفية التي أُستخدم بها كلمة «مجد» في العهد القديم. الأول ماخوذ من زمان ترحال إسرائيل في البرية:

> «وما لبث السحابة أن غطت خيمة الاجتماع وملأ جلال الرب المسكن، فلم يستطع موسى دخول خيمة الاجتماع، لأن السحابة حلت عليها ومجد الرب ملأ المسكن» (خروج ٤٠: ٣٤ و٣٥).

والنص الثاني مأخوذ من زمان بناء هيكل سليمان وتكريسه:

> «وما إن خرج الكهنة من قدس الأقداس حتى ملأ السحاب هيكل الرب، فلم يستطع الكهنة القيام بالخدمة من جراء السحاب، لأن مجد الرب ملأ الهيكل» (الملوك الأول ٨: ١٠ و١١).

يوضح هذين النصين بان الـ«مجد» هو طريقة التعبير«عن حضور الله». القول بأن مجد الله كان في مكان ما هو كالقول بان الله كان موجودا. عَرَّف دوت كلمة «مجد» بانها «اعلان كينونة الله وطبيعته وحضوره، بطريقة يمكن ان يختبرها البشر ...»[1] إذاً كان يقول بان في الإنسان الذي يسمى يسوع، استطاع الجنس البشري أن يشهد حضور الله! كتب يوحنا هذه الحقائق في بداية الإنجيل الذي نوى فيه ان يخبرنا عن حياة يسوع. كان يقول

[1] س . دوت في كتابه بعنوان تفيسر الإنجيل الرابع.

أساساً: «شاهدوه عن كثب، لأن ما ترونه هو أكثر من مجرد إنسان صالح يتعامل مع الناس؛ سترون مجد الله!» كل ما قال يسوع وفعل على الأرض يظهر مجد الله. في يسوع حتى الجسد لمع بالـ« مجد ».

طرح أحد المعلقين سؤال يجعلني أظن بانه يساعدنا على فهم الـ « مجد » في إنجيل يوحنا بطريقة أفضل.[٢] سأل لماذا لم ترد قصة التجلي في إنجيل يوحنا بما انها وردت في بقية الإناجيل الثلاثة[٣] وبما ان يوحنا كان شاهد عيان لهذا الحدث. لكان هذا وصف كامل للمجد عندما « أضاء وجهه كالشمس وصارت ثيابه بيضاء كالنور » (متى ١٧: ٢). فلماذا إذاً لم يشمل يوحنا ذلك في الإنجيل الذي يتحدث عن المجد أكثر من الأناجيل الأخرى؟ ربما كان السبب في ذلك هو ان يوحنا كان يركز في الحقيقة ان حياة يسوع كلها على الأرض كانت تظهر مجد الله. لو كان يوحنا قد كتب عن التجلي، ربما قد يتم التغاضي عن الأمور الأخرى. ربما كان الذين كتب إليهم يوحنا سيقولون: « هناك مجد قال لنا يوحنا أن نراه »، ويهملون مجد الله في أقوال يسوع وأعماله الأخرى. في هذا الإنجيل يظهر مجد الله بأكثر وضوح في جسد يسوع عندما عاش بيننا!

انه أظهر الله

أضاف يوحنا إلى الآية ١٤بضع اعلانات عن يسوع. فقد كتب بان يوحنا المعمدان نادى جهراً قائلاً: « ... هذا هو الذي قلتُ عنه: إن الذي يأتي بعدي صار قدامي لأنه كان قبلي » (يوحنا ١: ١٥). استمر يوحنا ليقول بان ذلك كان حسناً كما كان ناموس موسى المعطى من قبل الله، ظهرت النعمة والحق في يسوع. تم رؤية الكثير من النعمة في العهد القديم، وكان الناموس نفسه حقيقة. ولكن ما كان الناموس قد بدأه أو عيّنه قد أكتمل الآن وتم رؤيته في يسوع! إذا ما قارنا الناموس براديو ترانزستور مليء بالتشويش، يمكن ان نقول بان يسوع هو أسطوانة تصدر منها موسيقى الله بدون اضطراب أبداً. إذا قارنا الناموس بصورة مرسومة بفحم على سقف كهف مظلم، قد نقول بان يسوع هو رسالة الله بالتلفاز الرقمي (الديجيتال)، باشارة واضحة، وضوء كاف، وبدون تشويه!

اختتم يوحنا هذا النص بذكره ان الله لم يره أحد. في العهد القديم نقرأ عن أناس اعتقدوا بانهم قد رأوا الله وارتعبوا خائفين من الموت. أشار يوحنا إلى انه بينما رأى هؤلاء الناس رسُل الله (أو ملائكة)، إلا انهم لم يروا الله حقاً. لهذا يكون أكثر اعجاباً ان تجد بان الذي كان في البدء، الذي هو الله «الابن الوحيد الذي هو في حضن الآب» (١: ١٨) جاء ليكشف لنا عن الله خلال حياته، يسوع الناصري! لم يوجد لاحد أبداً شهادة اعتماد ليشرح لنا من هو الله كما فعل.

الخلاصة

نبدأ دراسة إنجيل يوحنا ونحن نعرف انه يجب ان نراقب {ظهور} مجد الله. عندما نشاهد يسوع ونستمع إليه، سيعطي الـ« مجد » معنى جديد وذلك باظهار المجد في الـ« جسد ». وعندما نرى الطريقة التي أتى بها يسوع بالمجد إلى الاختبارات اليومية والتعامل مع الناس، نبدأ نرى كم هو المجد الذي يمكن ان يظهره الناس العاديين في الظروف العادية في الأماكن العادية. عندما نحاول التفكير في الـ « مجد » في عصر التسلية هذا، نظن بانه يكون فقط عند خبرات العبادة الرائعة، أو في أكثر الرياضات الروحية محيياً، أو اثناء التبشير الأكثر إثارة، ولكن يوحنا يخبرنا بان يسوع أظهر « مجداً » في كل ما فعل.

الرديف العكسي الإلهي « الله / جسد » قد يربكنا، ولكن له أهمية قصوى لكي نفهم يسوع. الكلمة الذي صار جسداً جاء ليخلصنا ويظهر لنا مجد الله. عندما نستمر في إنجيل يوحنا، نعلم باننا نرى أكثر من مجرد إنسان؛ نرى مجد الله!

---

[٢] س. دوت في كتابه بعنوان تفيسر الإنجيل الرابع.
[٣] متى ١٧: ١–٨؛ مرقس ٩: ٢–٨؛ لوقا ٩: ٢٨–٣٦.